



-1-

ينبغي أن نقرر ابتداءً أن الثورة هي "خيار اليائسين"، لأن كلفتها أعلى بكثير من مجرد تحقيق مزيد من الرفاهية في حياة الناس أو إجراء إصلاحات محدودة في مؤسسات الدولة ونظامها السياسي.

فإذا كان من شأن "الإصلاحات السياسية" أن تتم عبر مناورات ومحاورات تتسم بالمرونة والواقعية السياسية وتأدي إلى حلول وسطى قابلة للتطبيق فإن الثورة ليست كذلك؛ إنها حالة تغيير جراحي وصراع صفيري لا يتحمل أنصاف الحلول، لأن نصف الثورة انتحار. هذا أمر يعرفه حتى الأطفال، وهو مبدأ صارم وقاعدة مطردة في التعامل مع الأنظمة الاستبدادية التي يثور عليها الناس، غير أنها في حالة النظام السوري أكثر من ذلك بكثير: إنها أصل الثورة وأم القواعد وكُبرى المسلمات.

-2-

لا يقبل بتجزئ المُرّ عاقل إلا فراراً مما هو أشدّ مَراراً، وعندما يثور شعب مسحوق على نظام مُغرق في الاستبداد والطغيان فإنه يدفع ثمناً باهظاً ويقدم تضحيات ليس لها حدود، ولو أن ثمن الخنوع أشدّ مراراً لما دفع الشعبُ الثائر ثمن التغيير المريء، ولو أن الواقع أعظم هولاً وفظاعة لما سلك الدرب المزروع بالفظائع والأهواز.

من أجل ذلك كله يقول الثوار والأحرار: إن الواقعية السياسية مبدأ صحيح في غير الثورات، صحيح في حالة التدافع السياسي الإسلامي ضمن منظومات سياسية آمنة عادلة مستقرة، أما في الثورة فإن ما تحتاج إليه هو "الواقعية الثورية"، وهي

لا تعني اختيار المسار الآمن، إنها تعني بكل بساطة: اختيار المسار الأقل كلفةً ومرارةً وخطورةً من بين مساراتٍ وخياراتٍ كلُّها مُرّ مُكْلَفٌ خطير.

-3-

نعم، لقد كان خيار الثورة مُرّاً منذ البداية، وكان قرار الاستمرار في الثورة مُرّاً في كل الأوقات، وما يزال، فماذا عن مسار "الواقعية السياسية" الذي يعتمد على استسلام ذليل يقبل بفكرة بقاء الطاغية ونظامه الموجل في الإجرام؟ هل هذا الطريق أقل مَرارةً من طريق الثورة الشاق الطويل؟

إذا عجز غيرُ السوريين عن التمييز بين الخيارات الصعبة فإن أهل سوريا يعرفون الجواب؛ إنهم على يقين من أن الاستسلام للضغط الدولي والموافقة على بقاء النظام (بأي شكل من الأشكال) هو أسوأ المآلات التي يمكن أن تؤول إليها ثورتهم العظيمة، وهو الخيار الأعلى كلفةً والأكثر بؤساً وشقاً في آيات الأيام.

ومن ثمّ فإنهم ينطلقون من "واقعية ثورية مبصرة عاقلة" فيقولون: "لا" لمؤتمر الخيانة في سوتشي، و"لا" لأي مشروع أو حلّ يكرّس بقاء طاغية سوريا وهو لا يُكوِّن العصر، بشار الأسد، وفريقه المجرم، الذي سُبَح في الدم السوري وارتكب في سبع سنواتٍ أشنع الفظائع والموبقات.

هذه الكلمة الفصل التي ضَجَّت بها حناجُّ أحرار سوريا خلال الأسابيع الأخيرة، الكلمة الفاصلة التي ليس عليها استدراك وليسَ بعدها كلمات.

المصادر:

صفحة الكاتب على الفايسبوك